Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشيطان : كئيبة مقفرة يا صديقى هى كل النظريات ، أما شجرة الحياة الذهبية فتبقى خضراء (البيتان ٢٠٣٨ ــ ٢٠٣٩) ٠ وبينما المطلق يطبق قبضته على الرقاب ، ويدق طبوله ويحشد جلاديه ودجاليه فيتحول التدين الى التعصب ، والاشتراكية الى الارهاب ، والحرية الى الفهلوة واللصوصية، والثورة الى الجريمة ، والعلم الى التجارة والارتزاق ، والفن الى الفجاجة والابتذال والنفاق ــ بينما المطلق ــ الطاغوت يجوس خلال الديار كتمثال مارد أجوف على قدمين من طين ، يتبجح بدعاويه ويبرر هزائمه ويفرخ مسوخ التسلط فى كل مكان ، أجدنى أكتب وأعلم وأعمل فى سبيل حياة بسيطة سوية ، حياة حرة ومعقولة وممكنة ، تصان فيها أوليات الانسانية فلا تقمع ولا تهدر ولا تهان فى سبيل مطلق مستحيل ٠ وتمر السنوات وتسقط قيم تربى عليها جيلى ، وتبتلى بالاستبداد ــ وهو شر ما يبتلى به الانسان فى كل مكان وزمان ــ فتنقلب الى الضد والنقيض ، ويتقمص الخضر ثوب، الجلاد وتنهش الكلاب لحم الشرفاء والطيبين ، وتخلو الساحة «للا قيم» التى وضعت نفسها فى موضع القيم المطلقة : للانتهازية والشطارة والتضخم والنجومية والكذب والغدر والادعاء وسائر ما تفرخه حية الأنا المتسلطة التى أنكرت وجود الآخر وألغت حريته وسعادته وكرامته (ربى ! كيف ترعرع فى وادينا الطيب ، هذا العدد من السفلة والأوغاد ــ صلاح عبد الصبور فى ليلى والمجنون) وأيا كان تصورك لهذا الآخر على أنه الوطن أو الجماعة أو المصير المشترك أو رفيق الحياة والموت فقد التهمته الحية الطاغية المتسلطة وراحت تصفر وتطير فى كل الأجواء الخالية (لدغنى زملاء كنت أدخرهم للأيام الباقية من العمر ، وعضنى تلاميذ وأبناء أعطيتهم تعب العمر ٠ كلانا ــ لو علموا ــ زائل ، وسيبقى وطن صيرناه بأيدينا غابة غدر وجهنم قهر) ٠ أمام هذا كله ــ هل تملك الذات الوحيدة المدحورة الا أن ترثى نفسها ؟ وهل يكون رثاء النفس الا رثاء لكل النفوس الطيبة المحبطة فى مكانى وزمانى وعلى مر الأجيال ؟ واذا سلمنا بأن أدبنا الحديث فى أصدق أعماله لم يتقن سوى مرثية الوطن والبكاء عليه (محمود درويش) فان رثاء النفس ينطق أيضا بأن الوطن يتطلب شيئا آخر غير الرثاء والبكاء ، شيئا يمكن أن نسميه الفعل الحر والعمل المبدع للمجموع ٠ عندئذ تتحول دموع الشعراء والأدباء الى نواقيس خطر ، ويصبح البكاء ندا للارادة الفاعلة ٠ وعندئذ نغفر لواحد منا أن يصبح « بومة مينرفا » التى تطلق حكمتها الحزينة وسط الخرائب لعل نعيقها يحرك وعلى العـــاملين فيبدأوا البناء الجـديد فوق الأطلال ٠٠

لكن الوعى لم ينتبه ، والبناء لم يبدأ ، والصعود الى الهاوية مستمر، والخلط والتخبط بلغا حد العماء والتصادم فى الظلمات ٠ والغربان المنذرة